**ندوة الدراسات العربية بالمتحف البريطاني

ملتقى الشرق والغرب**
د. وليد أحمد السيد

باحث وأكاديمي – لندن

تمثل ندوة الدراسات العربية التي تعقد في المتحف البريطاني بقلب العاصمة البريطانية لندن بحق ملتقى الشرق والغرب, حيث تلتقي دوريا عقول وخبرات الباحثين والأكاديميين والمهتمين بتطورات البحث العلمي والأكاديمي في مجالات متعلقة بالمشرق العربي من خلال دراسات علمية وأكاديمية رصينة لأوراق عمل وأبحاث مهمة تنشر في وقائع المؤتمر السنوي.

هذه الندوة الدراسية السنوية تعقد منذ العام 1964, بدعم وتنسيق من مؤسسة الجابر بلندن, وتهدف لمناقشة وتسليط الضوء على مستجدات الأبحاث الدولية وتعميق البحث العلمي في مجالات مهمة متعلقة بعلوم الحفريات والآثار والدراسات العمرانية والدراسات العربية وسواها. وقد شهدت قاعتين للمؤتمرات بالمتحف البريطاني وعلى مدار ثلاثة أيام الندوة التي عقدت في الفترة من 23 – 25 من يوليو لهذا العام, حضور أكثر من خمسين ورقة بحث وحضور أكثر من 180 عالما وباحثا أكاديميا متخصصا في الحفريات والتراث والآثار من دول تراوحت بين المملكة العربية السعودية وسلطنة عمان وقطر والأردن وهولندا والإمارات العربية المتحدة وفرنسا وبريطانيا وأستراليا وأمريكا وإيطاليا ولبنان وسويسرا وإسبانيا وغيرها.

أهمية انعقاد هذه الندوة السنوية في قلب أوروبا تأتي في سياق التفاعل بين الشرق والغرب وضمن إطار اهتمام الدوائر الإستشراقية بالتراث الحضاري للحواضر العربية والشرقأوسطية من ناحية, وفي سياق تفاعل الأكاديميين والمختصين والمسؤولين وممثلي الجهات الرسمية العربية في تقديم أبحاث التراث العربي الإسلامي وتطوير البحث العلمي من خلال التفاعل مع الأوساط الأكاديمية والبحثية الغربية من ناحية أخرى. وبالنتيجة, فوقائع الندوة السنوية تمثل ملفا متخما بالأبحاث القيّمة والرصينة والتي تمثل خلاصة جهود المتخصصين والأكاديميين وتسلط الضوء على مناحي مهمة في تطور البعثات الأثرية الإستكشافية وتضافر الجهد العربي المؤسسي لرعاية الجهود الغربية وتأطير مناهجها وتقديم التفسيرات المحلية لمكتشفات ونتائج البحوث من خلال جلسات الحوار العاصفة التي تلت تقديم الأوراق في اليومين الأولين.

وبالإضافة للأوراق المقدمة فقد حفلت ردهات المؤتمر بالبوسترات التي تشرح منهجيات وخلاصات أبحاث مستفيضة فيما يخص التراث العمراني والأثري وبخاصة في سلطنة عمان والإمارات العربية المتحدة وقطر. ومن أهمها البوستر المقدم من قبل وزارة الثقافة والتراث بسلطنة عمان ممثلا بمندوبها السيد علي المحروقي, حيث يشرح البوستر توثيق الحارات القديمة بالسلطنة وتمثيلها للتراث العمراني المهم. حيث عملت السلطنة والوزارة العمانية في إطار جهودها لتوثيق هذه الحارات التقليدية على تشكيل لجنة خاصة لتوثيق وحماية الأبنية والبيئات التقليدية. وقد بدأت المرحلة الأولى من هذه الحملة المهمة من قبل الوزارة في عام 2008 لمسح وتوثيق جميع مظاهر التراث العمراني التقليدي بالسلطنة ومنها الحارات وتم رسم خريطة تبين توزيع هذا التراث العمراني المهم الجغرافي تمهيدا للمرحلة المهمة التالية في الحفاظ التراثي. وقد قدّمت مجموعة من الأوراق والدراسات حول سلطنة عمان والتي تنقب في الآثار التي تعود لعصور ما قبل التاريخ وبحوث في المسوح الأثرية الحديثة في منطقة ظفار ومدينة صلالة القديمة. ومعلومة هي ريادة سلطنة عمان بين دول الجوار في سياساتها الحكومية لتشجيع الحفاظ التراثي وتقديم البرامج الفعالية والمنهجية لتفعيل دور التراث وتوثيقه ورعايته كأحد الأسس المهمة ودعامات ثقافتها فيما يخص البيئة المبنية خصوصا والثقافة عموما.

أما المملكة العربية السعودية فكان لها نصيب وافر من الحضور والتمثيل الأكاديمي والبحثي من ناحية, ونصيب جيد من البحوث المقدمة حيث دأب الباحثون والمهتمون السعوديون في المواظبة السنوية على إنجاح هذا الملتقى الثقافي المهم بالمشاركة الفاعلة بما تمثله المملكة من دعم دؤوب لمشاريع وأطروحات وأبحاث التراث والهوية العمرانية والثقافية والأثرية. ومثلت المشاركة السعودية هذا العام مندوبين عن مؤسسات تطوير السياحة الآثار في متحف الدمام ممثلا بالمتخصص في علوم الجيولوجيا والآثار السيد نبيل الشيخ, وأكاديميين مثل البروفيسور مشاري بن عبد الله النعيم الأستاذ بجامعة الملك فيصل من خلال بحثه حول مدينة الكوت بالهفوف. والبروفيسور علي الغبّان عن المجلس الأعلى للسياحة الآثار بالرياض. وقد حوت الندوة هذا العام في يومها الثاني مساحة خاصة استثنائية لأوراق مهمة قدّمت حول "تطور اللغة العربية كلغة مكتوبة". الأوراق المقدمة من باحثين عرب وفرنسيين وبريطانيين تضمنت مراجعات تاريخية لتطور اللغة العربية من لغة منطوقة إلى أهمية بداية تدوينها كلغة مكتوبة. هذه الندوة الإستثنائية شارك بها معهد الدراسات الشرقية بأكسفورد, ومتخصصون مستشرقون من المتحف البريطاني مثل (فينيشيا بورتر), ومعهد الدراسات الشرقية بباريس, والبروفسور علي الغبان, والدكتور خليل المعيقل من الرياض, وقسم الدراسات العربية والشرقأوسطية بجامعة القديس اندروز بشمال انجلترا. واختتمت هذه البحوث ورشة عمل متخصصة في نهاية اليوم الثاني للندوة كان الوقت فيها قليلا بالمقارنة بحجم المشاركات والنقاشات المحتدمة مما قطع الكثير من المداخلات المهمة وكما هو الحال في الكثير من حلقات الجدل الساخن في الأوساط الأكاديمية, والتي وللأسف نادرا ما يتم رصدها وتسجيلها في وقائع الندوات والمؤتمرات التي جرت العادة طباعتها وتوزيعها أثناء المؤتمرات مما يبقي وقائع ورش العمل ومداولات المتخصصين طليق ردهات المؤتمرات والندوات, حيث تذهب الكثير من الأفكار المهمة أدراج الرياح ما لم يسجلها باحث في ورقة عمل لندوة أو مؤتمر قادم.

وقد قدّمت ورقة من باحثين من الأردن في تطور الزراعة في القرن السادس في مدينة البتراء. واعتمد الباحثان محمد النصارات من جامعة الحسين بن طلال بمدينة معان, وفوزي أبودانه من الجامعة الهاشمية على وثيقة مكتشفة في العام 1993 حول مدينة البتراء والتي تكشف اللثام عن الكثير من الغموض الأثري والتاريخي حول المدينة الوردية بين الأعوام 537 – 593, وتسلط الورقة الضوء على أهمية الزراعة للبتراء وما حولها في تلك الفترة.

أما البحوث المقدمة عن دولة قطر فتميزت بالغنى والتعدد والعمق وبخاصة في مجالات البحث الأثري وتطورات ومستجدات البعثات الإستكشافية الغربية في المناطق المهمة في المدن التاريخية. وقد قدم رئيس دائرة الآثار بسلطة متاحف قطر السيد فيصل عبد الله النعيمي ورقة تبحث في استعمال الأواني الخزفية لتتبع وفهم جغرافي في قرية موراب والتي تعود للعصر العباسي من القرن التاسع بقطر. كما تضمن اليوم الثاني للندوة مساحة مهمة وكبيرة خصصت للدراسات الميدانية التي تجري حاليا في قطر لتتبع ومسح وتوثيق العديد من المناطق والمباني التاريخية والأثرية المهمة مثل قلعة الرويضة وموقع الزبارة الذي يعود للعصور الإسلامية وغيرها.

هذه الدراسات والكثير مما لا تتسع المساحة لعرضها, فضلا عن مناقشتها, تم تقديمها في ندوة الدراسات العربية بالمتحف البريطاني هذا العام, وتم توثيقها في وقائع الندوة. وفضلا عن أهميتها العلمية والأكاديمية القيمة في رفد بحوث الطلبة والأكاديميين والباحثين المختصين بآخر ما توصلت إليه الدراسات واستنباطات الخبراء, إلا أن لها بعدا ثقافيا آخر أكثر أهمية يتجسد في أكثر من 45 عاما من التواصل الحضاري الفكري بين الشرق والغرب من خلال نخبة من الباحثين من كافة دول العالم تلتقي على أبحاث ودراسات الشرق. ويخالج المرء العربي في قاعات الندوة أثناء الإستماع للأوراق التي قدّمت باللغتين الإنجليزية ونادرا الفرنسية شعور عميق بالإنتماء الفكري والحضاري الثقافي لأمة وحضارة سادت العالم قرونا تليدة مجيدة, فهل يلتقط خبراؤنا وباحثونا وأكاديميونا العرب الرسالة ويحملوا مشاعل البحث الدؤوب والعمل الجاد نحو إعادة بعث أمجاد أمتنا العربية؟ نأمل ذلك, وحتى العام القادم كل عام والبحوث العربية الجادة والرصينة بألف خير في منتديات الثقافة والفكر والحضارة الغربية وفي قلب عواصمها كمدينة لندن.

في 8 اغسطس 2009